حول كلمة تصوّف

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

يروى عن أفلوطين : أنه كان يمتنع عن التحدث فيما يتعلق بشخصه متفرد ، ولو أمكنه أن يلغى سيرته الشخصية من أذهان الناس ، ولو أمكنه أن يلغى اسمه ، لفعل . راضيا مغتبطا ، ذلك أن التسمية ، والجانب الشخصى الفردى فى الإنسان لاقيمة لهما ، إذا نظرنا إلى الآفاق العليا من الروحانية .

ومما يتلاءم مع هذا الاتجاه ، قول بعض الصوفية مامعناه : إن طائفة الصوفية لو تنزهت عن الفردية والشخصية ، لنزههم الله عن التسمية تنزيها مطلقا ، ولكن لما شابت الفردية أعمال بعضهم ، وضع لهم اسم ، واندرجوا تحت عنوان : الصوفية

هذا الاسم الذى أطلق عليهم اختلف فى أصله وفى مصدر اشتقاقه . ولم ينته الرأى فيه إلى نتيجه حاسمة بعد .

ومن أقدم الآراء التى قيلت ، وأطرفها : ما ذكره البيرونى : من أن هذا اللفظ إنما هو تحريف للكلمة : « سوف » اليونانية ، التى تعنى الحكمة . يقول البيرونى عن اليونانيين «ومن كان يرى الوجود الحقيقى للعلة الأولى [illegible] بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها ، وأن هو مفتقر فى الوجود إلى غيره فوجودها كالخيال غير حق ، والحق هو الواحد الأول فقط ، وهذا رأى السوفية ، وهم الحكماء ، فإن « سوف » باليونانية الحكمة ، وبها سمى « الفيلسوف » بيلاسويا أى محب الحكمة .

« فلما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم : سموا باسمهم .

ويرى البيرونى أن التصحيف دخل هذا الاسم بعد ذلك ، فقال : مفسرا ومعللا :

« ولم يعرف اللقب بعضهم ، فنسبهم للتوكل إلى الصفة ، وأنهم أصحابها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم صحف بعد ذلك فصير : من صوف التيوس . . .

ورأى البيرونى هذا ، على طرافته ، لا يستقيم لسبب بسيط ، وهو أن التسمية بالصوفى كانت موجودة قبل ترجمة الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية .

فالبيرونى يقول صراحة : « ولما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم » .

ورأى البيرونى ، إذن لا يستقيم ، إلا على أن هذا اللفظ نشأ فى الإسلام بعد أن عرفت الكلمة اليونانية ، وعرف معناها ، وتداولتها الألسنة ، ولاكتها الأفواه ، وألفت معناها العقول ، أى حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، على أقل تقدير . مع أن الكلمة عرفت قبل ذلك بكثير ، بل لقد عرفت فى العهد الجاهلى ، على ما يرى صاحب اللمع .

ولكن إذا كان رأى البيرونى لا يستقيم ، فإلى م نتجه فى اشتقاق هذه الكلمة ؟ إن الآراء أصبحت معروفة ، بل لقد كانت معروفة من قديم الزمان ، وصاحب الرسالة القشيرية يستعرضها رأياً ، رأيا ، وينقضها جميعا .

« فأما قول من قال : « إنه من الصوفة » ، وتصوف إذا لبس الصوف ، كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

٢ — ومن قال : إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ ، فالنسبة إلى الصفة لا تجىء على نحو الصوفى .

٣ — ومن قال : إنه من الصفاء ، فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة .

٤ — وقول من قال : إنه مشتق من الصف ، فكأنهم فى الصف الأول بقلوبهم

من حيث المحاضرة من الله تعالى ، فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف .

وإذا كان صاحب الرسالة القشيرية ينتقد كل هذه الآراء ، فإنه إذن ، لا يرى الاشتقاق ، ويقول : « هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ، فيقال : رجل صوفى ، وللجماعة صوفيه ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له : متصوف وللجماعة المتصوفه » .

وليس يشهد للاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق ، والأظهر فيه أنه كاللقب » .

لقد استعرضنا الآراء التى قيلت فى هذا الموضوع قديماً ، فهل ، ياترى ، هناك من جديد ؟

ذلك ما سنتحدث عنه فى كلمة تاليه ، إن شاء الله .

عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٨

إلى الزراع :

حقيقة ثابتة أن التسميد الجيد مع مقاومة الآفات والتقاوى المنتقاه يزيد غلة الفدان زيادة كبيرة .

خذ رأى الهيئة الزراعية المصرية فى استعمال الأسمدة ، فهى أول من أدخل الأسمدة الكيماوية ، وعملت على نشرها وأطلعت عملاءها من الأسمدة من وكلائها بالأرياف .